من إصدارات (المدى)

في رواية (كل الأسماء) لساراماغو

البحث عن الذات عبر مغامرة البحث عن الآخر

سعد محمد رحيم

يرسم ساراماغو في روايته (كل الأسماء) متاهة، لا على غرار ما خطّ أندريه جيد في رواية (تيزيه) من تمويه هندسي، بل من منظور ما فعل كافكا في روايتيه (المحاكمة) و (القصر) ولا سيما في (القصر).
يجد بطل كافكا (ك) في (القصر) نفسه واقعاً في إسار الشبكة العنكبوتية لبيروقراطية صارمة ومبهمة تحاكي سلطة أب جبار أو إله. وطوال الوقت يحاول (ك) أن يصل إلى فك لغز ذلك العالم من دون جدوى، فهو يستفسر ولا يقع على إجابات مقنعة، ويستسلم لمساره القدري كأنه مقود بقوة عاتية، لا قبل له بها. وإذا كنا لا نعرف شيئاً عن ماضي (ك) كافكا؛ من أين جاء، وكيف عاش حياته قبل وصوله القرية التي عيّن فيها مساحاً، فإن (دون جوزيه) بطل (كل الأسماء) لساراماغو، هو الآخر لا نعرف عن ماضيه شيئاً، فهو يظهر منذ مفتتح الرواية داخل المبنى البيروقراطي المسمى بـ (المحفوظات العامة للسجل المدني) موظفاً صغيراً يؤدي عملاً روتينياً محدداً، كما لو أنه جزء من الآلة الرتيبة لتلك المؤسسة. وحتى عن اسمه لا نعرف سوى مقطعه الأول (جوزيه) فالراوي إذ يخبرنا في الصفحة ١٦ عن كنيتين له في سجل الولادات الموجود في المحفوظات العامة إحداهما هي كنية أبيه، والثانية هي كنية أمه فإنه لا يعلمنا عنهما والسبب كما يقول؛ ((عندما يُسأل دون جوزيه عن اسمه، أو عندما تتطلب الظروف أن يقدم نفسه، أنا فلان الفلاني، فلن يفيده في شيء النطق بالاسم كاملاً لأن محادثيه لن يحتفظوا في ذاكرتهم إلاّ بالكلمة الأولى، جوزيه، والتي يضيفون بعد ذلك كلمة . دون)) ص,١٦
إنه في الخمسين من عمره ولا يتحدث عن طفولة غابرة، ولا عن مراهقة كانت تشعل فيه الرغاب يوماً ما، ولا عن قصة حب، أو حتى عن عائلة كان فرداً فيها.. إنه هكذا، كأنه بلا ذاكرة، أو كأنه يتجنب التذكر، أو لأن الحكاية التي يحبك فصولها عبر سلوك غير مفهوم، بدوافع نكاد نجهلها، لا تبقي له فسحة من وقت أو تفكير كي يقول لنا شيئاً عن حياته قبل أن يصبح موظفاً خاضعاً للقوانين والتقاليد الصارمة التي تتطلبها أو تقتضيها وظيفته في السجل المدني، ولا تكون الحكاية إلاّ حين يسعى لانتهاك تلكم القوانين والتقاليد والتطاول عليها، على الرغم من إيمانه الشديد بجدواها واحترامه إياها كما لو أنها نواميس مقدسة.. إنه يسعى للخروج من إسار الشبكة الرهيبة للقبض على شيء ما، معنى ما، هو أيضاً لا يدري، ما هو، ولماذا عليه المجازفة، أو المغامرة، من أجل كشفها.. إنه يقرر في لحظة ما أن يوسع دائرة فضوله في اكتشاف حيوات الآخرين، هو المغرم بمعرفة بعض تفاصيل حيوات المشاهير من أهل مدينته، إذ يستغل مركزه الوظيفي في السجل المدني ويستنسخ بطاقات أولئك المشاهير، والمصادفة ستلعب دورها الحاسم في الأمر، حين يجلب خمساً من تلك البطاقات إلى منزله ليفاجأ بوجود بطاقة سادسة جاءت خطأ مع البطاقات الخمس، وهي لامرأة مجهولة يقرر البحث عن حياتها، متجاوزاً صرامة القوانين واللوائح البيروقراطية، واضعاً مستقبله المهني بذلك على كف عفريت.
و(دون جوزيه) شخصية حذرة إلى حد بعيد، وتحسب للاحتمالات حتى تلك التي يمكن أن نطلق عليها صفة الغريبة، لكنها غير مترددة.. إنها تغامر، ربما من أجل إشباع فضول غامض وكاسح، وربما من أجل الخروج من رتابة العمل كما نوهنا آنفاً، أو ربما من أجل التعرف على الذات، أو ربما من أجل الحب.
(دون جوزيه) في الخمسين وهو لا يتحدث عن الحب.. إنه بلا أصدقاء.. بلا امرأة، ولا يفصح عن حاجته إلى أصدقاء وإلى امرأة حتى يبدو وكأنه مكتف بذاته، وحتى هذا الاكتفاء لا يصمد طويلاً، فها هو يكسر الطوق (القوانين والتقاليد والنواميس والأعراف) ويخرج إلى فضاء مختلف غير ذاك الذي تعود على العيش فيه.
وبدءاً من هذه اللحظة سنلحظ أن رواية ساراماغو هي رواية بحث.. رواية محاولة البحث عن حياة شخصية أخرى هي شخصية المرأة المجهولة. وهذه الرواية تختلف عن غيرها من روايات البحث لأن الشخصية الباحثة لا تعرف شيئاً عن الشخصية الأخرى التي تبحث عنها إلاّ تلك المعلومات القليلة المدونة في بطاقتها المحفوظة في السجل المدني، ولا نكاد نقع على مسوغ مقنع وقاطع لمحاولة البحث هذه. وهناك إشارة ترد بشكل عابر في الرواية عن أن (دون جوزيه) قد وقع في حب المرأة المجهولة، غير أن هذا أيضاً يضعنا أمام إشكالية أخرى، ولا يمنحنا طمأنينة القناعة. وخلال عملية البحث المضنية التي تعد مغامرة بحق، إذا ما قيس بالحياة الرتيبة التي كان (دون جوزيه) يعيشها لا نكاد، أو لا تكاد الشخصية الباحثة تعرف عن حياة الشخصية التي تبحث عنها أشياء كثيرة وقاطعة، وبالمستطاع التأكيد أن عملية البحث قد دلتنا على شخصية (دون جوزيه) الباحثة وعمقت معرفتنا بها أكثر مما دلتنا على شخصية المرأة المجهولة التي ظل يبحث عنها هو نفسه (دون جوزيه).. أو لعل الوازع اللاواعي لـ (دون جوزيه) كان في جوهره السعي باتجاه سبر أغوار الذات عبر البحث عن (الآخر).
((لقد كنت أعيش بسلام قبل أن يتسلط هذا الهاجس العقيم على عقلي، البحث عن امرأة لا تعرف حتى أنني موجود)) ص,١٥٢
يصرح دون جوزيه لنفسه بهذه العبارة التي تكاد تلخص قصة رحلته في البحث عن المرأة المجهولة.. الرحلة التي اختار القيام بها بمحض إرادته، لدافع لا يفهمه، مضحياً بسلامه الذي فقده مستسلماً لهاجس يصفه بالعقيم، وقد تسلط على عقله، فهو يدرك أن الهاجس عقيم، ويدرك أن المرأة لا تعرف حتى بأنه موجود، لكنه مع ذلك، لا يكف عن المحاولة، فهل تراه يعتقد بأنه . في رحلة بحثه . إنما يقبض على معنى حياته، أو يمنح حياته معنى وقيمة هي بحاجة ماسة إليهما؟.
يتنقل (دون جوزيه) من فضاء المجرد إذ تتكدس الأسماء في بطاقات لا تعد ولا تحصى إلى فضاء المشخص حيث العالم في حركته الموارة وجدله، وحيث المرأة وقد أضحت مع دخول بطاقتها عن طريق الخطأ شقته محل اهتمامه، والعلّة التي ستغير مجرى حياته وإلى الأبد. فالاسم ليس هو الشيء المهم في المسألة وإلاّ لأفصح لنا عنه، ولكن المرأة ذاتها، بعد أن باتت حقيقة أنها مجهولة، عامل تحفيز وتحريض له، ليغادر اعتيادية حياته وفتورها إلى حرارة المغامرة وإثارتها.
وأحياناً نقتنع بأن (دون جوزيه) غير معني بالأسباب والمسوغات؛ لماذا هو يبحث عن خفايا حياة المرأة المجهولة، فهو لا يفكر حتى بالالتقاء بها، ولماذا يخوض تجربة هذا الرهان الصعب مع نفسه، ومع القدر. أن يعرف أشياء عن المرأة.
((ربما لن أكلمها عندما أجدها أمامي، إذا كانت هذه هي الحال، فلماذا تبحث عنها، لماذا تتحرى عن تفاصيل حياتها، إنني أجمع أوراقاً عن المطران أيضاً ولست مهتماً بالتحدث إليه يوماً، يبدو لي الأمر ضرباً من العبثية، إنها عبثية)) ص٨٠
وحين تموت المرأة لا يكترث كثيراً، ولا يتألم، بيد أنه لا يوقف مسعى البحث عن أحداث حياتها، ولا يضعف فيه الفضول.. إنه يظهر أحياناً وكأنه غير معني حتى بالمعلومات التي يحصل عليها، فهو حين يعثر على بطاقاتها المدرسية بعد اقتحامه في ليلة ممطرة مدرستها القديمة، يضعها هناك في شقته الملحقة بدائرته، ولا يخبرنا ماذا وجد فيها. وفي الأحوال كلها لن يعرف (دون جوزيه) نفسه أشياء كثيرة عن المرأة، وما سيعرفه سيضن به علينا . نحن معشر قرائه . وكذلك فهو لا يحاول أن يسرد علينا حياة متخيلة لها، فتلك المرأة ستبقى مجهولة لنا إلى حد بعيد، مثلما هي مجهولة له.. إن ما سنعرفه بدقة في نهاية المطاف، هو مغامرة (دون جوزيه) في البحث عن المرأة، وليس مغامرة المرأة ذاتها في الحياة.

❖ (كل الاسماء) رواية جوزيه ساراماغو.. ترجمة؛ صالح علماني . دار المدى للثقافة والنشر . سوريا/ دمشق ط١/ ٢٠٠٢ .

المفهرس العراقي صباح المرزوك: حلمي ان اصدر دائرة معارف شاملة

المدى مكتب - بابل - سعد الحداد

تصوير - قاسم عبد الرضا

أين ما تراه يبادرك بالسؤال عن عنوان اصدار جديد او مؤلف اعيد طبعه، وإذا فاجأته بذلك مد يده الى جيبه ليدون معلومات جديدة في جذاذة صغيرة، حتى غدت آلاف الجذاذات في مواضيع متفرقة تتكدس هنا وهناك في زوايا بيته.. وإن سألته عن سر هذا الاهتمام وكيف نما.. اعادك الى بدايات حياته وعلاقته بالاتصال بالكتاب الذي حفظه عن ظهر قلب، وكيف اقتناه وكيف رغب فيه حب هذا العلم.. أعني به كتاب المفهرس العراقي المرحوم كوركيس عواد (المباحث اللغوية في مؤلفات العراقيين المحدثين) .. هذا الكتاب كان محفزاً قوياً لدخول عامل الفهرسة فاعد ونشر مجموعة من الفهارس في التراث والأدب واللغة وغيرها إبتداءً من عام ١٩٧٠ في مجلة الأقلام وتتابعاً في مجلات المورد والتراث الشعبي والذخائر وغيرها . ليتوج عمله الفهرسي بأهم اصدار ببلوغرافي عراقي صدر عن دار الحكمة ببغداد سنة ٢٠٠١ وهو (معجم المؤلفين والكتاب العراقيين في القرنين التاسع عشر و العشرين) بأجزائه الثمانية.
(المدى الثقافي) التقت المفهرس الدكتور صباح نوري المرزوك فتحدث عن تجربته قائلاً: لعل أول مؤثر هو الاتصال بالأدباء والكتاب الكبار، فقد راسلت كوركيس عواد والدكتور يوسف عز الدين والشيخ محمد حسن آل ياسين والدكتور حسين علي محفوظ وهلال ناجي ومحسن جمال الدين وغيرهم وأنا طالب في الدراسة الإعدادية حتى رأيتهم واتصلت بهم مباشرة في بغداد حينما أصبحت طالباً جامعياً ورأيت غيرهم وحضرت أماسي اتحاد الادباء وجمعية المؤلفين والكتاب وزرت المجمع العلمي العراقي والمكتبة الوطنية والمركزية لجامعة بغداد ومكتبات أخرى في بغداد والكاظمية . فكان للمتابعة وقراءة الكتب والمجلات الدورية التي تصدر في العراق وخارجه والاطلاع وكلها مؤثرات متنوعة في معرفة النتاج العراقي وخاصة في عالم الانسانيات.
وعن معجمه المهم وهل هناك نية في إصدار مستدرك عليه وإعادة طبعه قال الدكتور المرزوك:
من طبيعة الاعمال المكتبية البيلوغرافية النقص والاستدراك وقد ذكرت ذلك في مقدمة المعجم لان الكتاب العراقي لا يوزع جيداً لهذا ترى انه من الصعوبة بمكان ان نحصل على بعض الكتب التي نحتاجها في أبحاثنا وكتبنا، وأستطيع القول انني بدأت بالاستدراك من أول لحظة خروج المعجم من المطبعة. وقد قام أساتذة أفاضل بقراءة المعجم قراءة جيدة متأنية وقاموا بكتابة ملاحظات استدراكية فادتني كثيراً وانا شاكرهم ولا بد من ان اشكر الذين اهتموا بالمعجم ونشروا عنه ورحبوا به على الرغم من انه لم ينل ما كان يجب ان يناله كتاب يؤرخ لثلاثة عقود من المعرفة بسبب الظرف التاريخي الذي رافق ظهور المعجم او بعد ذلك بقليل.
واضاف المفهرس الدكتور المرزوك قائلاً: اما عن إعادة الطبع فقد تذاكرت مع أصدقاء لهم معرفة بشؤون النشر، فان حلمي لم يقف عند هذا الحد بل املي ان اصدر دائرة معارف شاملة للمؤلفين العراقيين منذ القدم لتشمل التراث العربي من اهل الكوفة والبصرة وواسط وبغداد والنيل والموصل واربل حتى يومنا هذا بتراجم شاملة كاملة فيها تعريف ببلوغرافي اضافة الى كل ما نشره ذلك المؤلف من مقالات في المجلات والصحف العراقية. والعمل قد بدا فعلاً في بعض جوانبه، والذي يشجع على إنجازه موافقة دار نشر على تبنى هذا المشروع الكبير او القبول بنشر المستدرك على الاجزاء الثمانية التي ظهرت والتي تقع في واقع ثلاثة مجلدات كبار في اكثر من الف ومئتين وخمسين صفحة.
دعوة لإنشاء متاحف للتراث الشعبي
ولان الدكتور المرزوك من المهتمين بالتراث الشعبي فقد عرض وجهة نظره في التراث الشعبي في ظل التطور الحاصل في عالم اليوم فقال: النظر الى التراث الشعبي كونه تراث امة والحفاظ عليه ضرورة ملحة والإخلال به ضرر يلحق بالأمة. فهذا التراث هو روح الأمة وتسجيله من الواجبات الوطنية في عنق كل كاتب . فقد شهد العقد الستيني من القرن الماضي صدور مجلة (التراث الشعبي) وظلت المجلة تصدر حتى ايامنا هذه وفي ظل هذا التطور كان لابد من ان تقوم دراسات مقارنة تتناول الموروث الشعبي في المدن لان هناك جوانب كثيرة لم يتم تناولها والكتابة عنها. ولانزال بحاجة الى الكشف والايضاح فليس بين أيدينا تاريخ كامل ونحن امام كم هائل من المعلومات التي ينبغي ان نغوص لكي نخرجها الى الناس.. وهنا اوجه دعوة مخلصة لإنشاء متاحف للتراث الشعبي في المدن العراقية ونشر الأبحاث التي تخص التراث الشعبي في فلما فيها.

حديث الديناصور

عادل العامل

في مدريد وبغداد
كتابان جديدان للقاص لؤي حمزة عباس

صدر في العاصمة الأسبانية مدريد، عن دار ألواح، كتاب نثري جديد للقاص العراقي لؤي حمزة عباس بعنوان(كتاب المراحيض) . جاء الكتاب بـ ٧٠ صفحة من القطع المتوسط، وقد زينت الغلاف لوحة للفنانة (سارة شمه) أما التخطيطات الداخلية المنجزة خصيصا للكتاب فهي من رسوم هاشم تايه.
يعد الكتاب الجديد بمثابة نص سردي منفتح . وإن عرفه كاتبه برواية تعرف . يتناول موضوعة العلاقة الثنائية بين البشر والمكان السري المعلن والممثل ببيت الراحة أو المرحاض، و إن كان النص يتجاوز هذه الثنائية إلى علاقات أرحب، مركزاً على السرية والخبيئة في تناول موضوعات ذات علاقة مباشرة بالإنسان وهي في الوقت ذاته تحاول أن تجنح نحو التغييب أو عدم التطرق المباشر لها في الحياة العامة لاسيما منها الأدب والسرد على وجه الخصوص. الكتاب جاء بأكثر من قسم منها: حديث مراحيض الحرب، حديث مراحيض المدن، حديث التطهر و حديث مغتسل الموتى يلحقه حديث مراحيض خاصة. ومما يذكر أن العديد من دور النشر العربية لم تقدم على خطوة نشره لاعتبارات عديدة ومتباينة، لعل أهمها جرأة الكتاب وتثبيته للنقاط على الحروف في أكثر من موقع .
كما صدرت في بغداد، عن دار الشؤون الثقافية العامة، رواية (الفريسة) وهي الرواية الأولى للكاتب بعد ثلاث مجاميع قصصية حققت حضورا متميزا في المشهد القصصي العراقي الراهن . وتسعى الرواية إلى إضاءة واحدة من المراحل المؤثرة في الحياة العراقية، وهي تقوم بتخصيب نظام اللغة بالسرد الدال في رصدها لتفاصيل حياة مدينة عبر زجاج سيارة مظلل، فتؤثث بذلك للمشهد الواحد أكثر من زاوية من خلال متابعة مصير رجل ونمر وامرأة يختلط فيها الحلم بالواقع .

الرقصات الاخيرة لغونتر غراس في اتحاد ديوان شرق - غرب

عبد اللطيف الراشد

ضمن النشاطات الثقافية لاتحاد ديوان شرق غرب اقيمت على قاعة اتحاد الادباء جلسة نقاشية تحت عنوان (الرقصات الاخيرة) وهو الديوان الشعري للكاتب الالماني المعروف غونتر غراس وكان من المتوقع ان يحاضر في الجلسة النقاشية الناقد سهيل سامي نادر الذي منعته ظروفه الصحية من الحضور ولهذا ادار الجلسة الناقد عادل كامل الذي رحب بالحضور واستعرض المسيرة الإبداعية للكاتب الالماني غونترغراس عن قراءة الديوان وعرض فيلم حضن إبراهيم بالحوار العربي الذي جرى في اليمن عام ,٢٠٠٢
والمعروف ان غونتر غراس الحاصل على جائزة نوبل نال شهرة عالمية واتخذ موقفاً مناهضاً للحروب التي تتعرض لها الشعوب الضعيفة وقد كتب الكثير عن ذلك متحدثاً عن أثر الرؤية الاحادية في المصائر مشتغلاً على موضوعات الحوار العميق بين الكائنات البشرية في بناء عالم تلتقي عنده المواقف العادلة.
ويعتبر غونترغراس احد اعضاء جماعة (٤٧) التي ظهر دورها بعد الحرب العالمية الثانية الى جانب شهرته الروائية فهو يكتب الشعر ويمارس الرسم والفنون الجميلة وبعدها عرض فيلم يحمل عنوان حضن ابراهيم الخاص بالحوار العربي الالماني وهو فلم وثائقي يتحدث عن زيارة غراس الى اليمن عام ,٢٠٠٢
والجدير بالذكر ان غونتر غراس ولد في السادس عشر من تشرين الأول عام ١٩٢٧ في ضاحية لا نغور في مدينة دانتيغ. هذه المدينة التي سلخت من ألمانيا والحقت ببولندا وأصبحت تعرف باسم غدانسك درس في ثانوية كونر ادينوم في لا يبزك لكنه لم يكمل الدراسة اذ استدعي لتأدية الخدمة العسكرية الالزامية وهو في السابعة عشرة من عمره وقد جرح خلال الحرب العالمية الثانية وأسرته القوات الامريكية ولم تطلق سراحه الا عام ١٩٤٦ .
نشر غونترغراس عدة كتب تتضمن مقالات وخطابات سياسية. وهو عضو في الحزب الديمقراطي الاشتراكي والقائمة التي تضم اعماله الإبداعية من مجموعاته الشعرية طويلة ولكن يمكن القول ان اهمها رواية الطبل الصفيح ترجمت الى العربية ومسرحية (العم العم) وقصة تخدير موضعي .. ومسرحية (الطباخون الأشرار) وسيناريو باليه

قصائد فيليب جاكوتيه في دمشق

خاص بالمدى - دمشق - سلام الناصر

ضمن نشاطات المركز الثقافي الفرنسي في دمشق، قدم (فيليب جاكوتيه) قراءة لمجموعة من القصائد من أكثرها إشراقاً تلك التي تشكل تحية موجهة الى نور الشرق والمنتقاة من مجموعاته الخمس الأساسية: البومة الصماء، الجاهل، أجواء، في نور الشتاء وأفكار تحت الغيوم.
وقدم قراءة لنصوص نثر شعري كما جمعها في ديوانيه (مناظر طبيعية مع وجوه غائبة، بعد العديد من السنوات، ومع ذلك) تشكل هذه النصوص تساؤلات حول الدهشة التي يولدها عنده العالم المحيط به .
نشر الشاعر قصائده الأولى منذ العام ١٩٤٤، اصدر مجموعته الأولى (ثلاث قصائد للشياطين ١٩٤٥) أرسل الى باريس ١٩٤٦ كمعاون في دار نشر مرمو حيث بقي لعدة سنوات، احتك عندئذ بالحلقات الأدبية وبخاصة في النوفيل رومو فرانسيس مع جان بولان ومارسيل ارلان وفرانسيس بونج وجان تارديو، اقام علاقات صداقة مع شعراء من جيله مثل إيف بونفوا، جاك دوبان، اندريه دوبوشيه، بييرليريس، أندريه دوتيل وهنري توماس، له ترجمات من الألمانية والإيطالية والأسبانية والاغريقية والروسية حاز على الجائزة الكبرى لشعر مدينة باريس ١٩٨٥، الجائزة الوطنية الكبرى للشعر ١٩٩٥ وجائزة هولدرين لمدينة وجامعة توبينخين في حزيران ١٩٩٧ والجائزة الكبرى لشعر جماعة الادباء ١٩٩٨ .
ترجم كاظم جهاد مختارات شعرية من قصائد فيليب جاكوتيه وصدرت عن (المعهد العربي للبحوث والنشر، بيروت، ١٩٩٩) .